174917 ـ سرق بريد صاحبه الإلكتروني واطلع على صور زوجته ونشرها في الإنترنت

السؤال

بارك الله فيكم على هذا الموقع . سؤالي باختصار هو : أنني قمت بالانتقام من أحد الأشخاص من الذين كنت أحقد عليهم ، وقمت بسرقة عنوان الإيميل الخاص به ، وأخذت صوره هو وزوجته ! وقمت برفع صور زوجته على جميع مواقع التواصل الاجتماعي لكي يشاهد الجميع صور زوجته ، وبعد فترة رأى صور زوجته على الإنترنت وتأذى كثيراً وتدهورت حالته النفسية لفترة محدودة ، ولكن ـ الحمد لله ـ تحسن مرة أخرى ، المشكلة هي أنني بعدما قمت باستغفار الله والتوبة من هذا الذنب انتابني شعور بالخوف أن هذا الأمر سوف يحصل لي أو لأهلي في الدنيا ؛ وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما تدين تدان) ، فالسؤال هو ما الحل ؟ هل أطلب من هذا الشخص مسامحتي وأخبره بأنني الفاعل ؟ وذلك يكون مستحيلا لأنه إن أخبرته بأنني الفاعل سوف تسوء سمعتي أمام أصدقائي والجميع وسوف ينتقم أيضا ، فهل هناك حل غير هذا ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لا شك أنك ارتكبتَ إثماً عظيماً بسرقتك البريد الإلكتروني الخاص بصديقك ، ومن ثم الاطلاع على ما فيه ، وهو من التجسس المحرَّم والاطلاع على العورات المنهي عنه .

قال الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله السند ـ حفظه الله ـ :

وكذلك لا يجوز التجسس على مخاطبات ومراسلات المتعاملين بالإنترنت لقول الله تعالى (وَلاَ تَجَسَّسُوا) الحجرات/ 12 ؛ لأن فيه تتبعاً للعورات والمثالب وكشفاً لما ستروه ورغبوا في حفظه ومنع ظهوره للناس ، بل (مِنْ اِطَّلَعَ فِي بَيْت قَوْم بِغَيْرِ إِذْنهمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنه) – رواه مسلم ـ ولا ضمان عليهم ، وعقوبة المتجسس هي التعزير ، إذ ليس في ذلك حد معين ، والتعزير يختلف والمرجع في تقديره إلى الإمام . " انتهى من " الأحكام الفقهية للتعاملات الإلكترونية " (ص 321) .

وقد اشتد الإثم وعظم الجُرم باطلاعك على صور زوجة صديقك ! واشتد الجرم أكثر وعظم الجرم أكثر بنشرك لتلك الصور على الناس ، ولا ندري كيف نجح الشيطان في التسويل لك بهذا الفعل المحرَّم ، وخاصة أنها زوجة صديقك الذي تُظهر له المودة وهو يأتمنك على نفسه وعرضه ، وكل ما ترتب على ذلك النشر لتلك الصور من نظر محرَّم إليها أو إيذاء معنوي أو نفسي فإن عليك وزره ولا شك لأنك السبب في وجوده ، قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) الأحزاب/ 58 .

فانظر كم حصل من ذنب في فعلك ذاك لتعلم عظم ما اقترفته ، فالسرقة والتجسس والاطلاع على العورات ونشرها بين الناس لينظروا نظرة حرام ، والأذية لصديقك وزوجته وأهلهما ، كل تلك كانت ذنوباً اقترفتها من أجل تنفيس عن حقد قلبي تجاه مسلم ما كان له أن يكون أصلاً فضلاً عن تنفيسه بارتكاب ذنوب وآثام عظيمة .

ثانياً:

مع عظم ذنوبك التي اقترفتها فإن باب التوبة مفتوح لك ، وقد أحسنت في توبتك بسبب ما فعلتَه من ذنوب ، ونرجو الله أن تكون صادقاً فيها وأن يتقبلها الله تعالى منك .

ثالثاً:

أما بخصوص خوفك من أن يعاقبك الله بمثل ما فعلت بصديقك استدلالاً بحديث (كَمَا تَدين تُدان) : فننبّه قبل الجواب أن هذه الجملة لم تصح في حديثٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن جاءت الشواهد من الكتاب والسنَّة على صدقها وصحتها ـ وقد فصَّلنا القول فيها في جواب السؤال رقم (81528) فانظره – ومما جاء في الشرع ما يؤيد عين هذا الذنب والجزاء عليه من جنسه : ما جاء عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضيَ الله عنه قَالَ : صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ : لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) رواه الترمذي (1955) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

قال المباركفوري – رحمه الله ـ : " (عوراتهم) فيما تجهلونها ، ولا تكشفوها فيما تعرفونها .

(تتبع الله عورته) ذكره على سبيل المشاكلة أي : كشف عيوبه ، ومن أقبحها تتبع عورة الأخ المسلم ، وهذا في الآخرة .

(ومن تتبع الله عورته يفضحه) أي : يكشف مساويه .

(ولو في جوف رحله) أي : ولو كان في وسط منزله مخفيّاً من الناس " انتهى من " تحفة الأحوذي " (6 / 153) باختصار .

ومع هذا فنطمئنك إلى أنَّ التوبة النصوح تهدم ما قبلها من الذنب الذي تاب منه صاحبه ، وقد أكرم الله تعالى التائبين بصدق أنه يبدِّل سيئاتهم حسنات ، وهذا يعني أنه لن يُعاقب التائب بصدق على ما اقترف من سيئات ومعاصي لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وبما أنك تخبر أنك قد تبتَ إلى ربّك عز وجل واستغفرته فنرجو أن لا تؤاخذ على ما فعلتَ تجاه صديقك ، ونوصيك بالندم والإكثار من الأعمال الصالحة والعزم الأكيد على عدم العود لمثل هذه المعاصي .

رابعاً:

وننصحك بعدم إخبار صديقك بما فعلته معه من ذنوب ؛ لئلا تزيد من أذيته وقد يتسبب ذلك في أن يفقد الثقة في الناس ، بل تكتفي بالدعاء له ، والاجتهاد في الإحسان إليه ، والذب عن عرضه .

وهذا هو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو قول الحنابلة ، ففي " المستدرك على مجموع الفتاوى " (3 / 208 ـ 209) قال ابن تيمية رحمه الله : " فكل مظلمة في العرض من اغتياب صادق وبهت كاذب : فهو في معنى القذف ؛ إذ القذف قد يكون صدقًا فيكون في المغيب غيبة ، وقد يكون كذبا فيكون بهتاً ، واختيار أصحابنا : أنه لا يُعلمه بل يدعو له دعاء يكون إحساناً إليه في مقابلة مظلمته " انتهى .

خامساً:

النصيحة لعموم المسلمين : أن يحتاطوا لأجهزتهم وبريدهم من الاختراق ، وأن يحرصوا على أن لا يضعوا صوراً لنسائهم وبناتهم ؛ لما قد يحصل لأجهزتهم من اختراق ، أو ينظر إليها أصحاب محلات الصيانة أو من يسترجعها من يشتري الجهاز بالبرامج الكثيرة ، ونسأل الله أن يستر عوراتنا وأن يحفظنا بحفظه .

والله أعلم